Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ركيكة إذا ما عُبِّر بها عن بعض المعاني استعملت الكلمة اللغوية مكانها بنطق عربي فصيح مستشهدة بأبيات شهيرة وحكم سائرة تعزيزاً لآرائها ، وعلى وجهها هيئة المحقق الجاد وفي عينيها نظرة بعيدة . وإن نحن على هذه الحال إذا بقريبةٍ لها قد هبطت علينا من الصعيد على غير انتظار . وكانت باحثة البادية سبقت وقالت لي حين وصولي : « رغب بعض صديقاتي في المجيء للتعرُّف بكِ على أني أردت أن نكون وحدنا في اجتماعنا الأول » .

ولكنها لم تُبد انزعاجاً بل ظهر السرور في وجهها وتحولت المرأة المفكرة دفعة واحدة إمرأة ضحاكة كأنما لم تكن هي التي كانت منذ هنيهة تستشهد بالمعري والمتنبي . وقد ذكرت ذلك في مقالي الفرنساوي :

« جاءت قريبتها من الفيوم فأخذتا تتكلمان عن أشياء يعرفانها وتهمهما معاً . ذكرتا الأقارب والأصدقاء والصديقات والجارات والمعارف وهما تحلفان تارة بالله وطوراً بالنبي محمد مشتركتين في الضحك والتنكيت بين جملة وأخرى . الزائرة تحدث عن الديار والباحثة تستزيدها من التفصيلات عن نساء الحي والمواشي والخياطة المصدورة والحمى المتفشية في البلد . ثم اتفقتا في الثناء على البقرة الحلوب وهبط صوتهما إلى قرار الأسف لذكر البقرة الصغيرة المتوفاة في الأسبوع السابق . فقلت وقد أسفت لأسفهما :

ـ « أماتت تلك البقرة المسكينة » ؟

أجابت باحثة البادية : « ماتت والله ! وكنت أحبها كثير قوي » .

ولكن لا يغرننا هذا الانقلاب السريع من جليل المعاني إلى تافهها ، ولا تخدعنا هذه الضحكة الشبيهة بضحكة فتيات المدارس . ان لهذه المرأة كما لكل من الأفراد النوابغ شخصيات متعددات تظهر كل منها في حينها . وهاك وصف ضحكتها في المقال الفرنساوي السابق ذكره :

« انها تضحك بسرعة وسهولة وفي صوتها رنين كرنين أصوات الأطفال .